

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (١)

الدرس الأول

إسلامه - هجرته - مناقبه - خلافته - عدله

الشيخ/ ناصر بن محمد الأحمد

هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي بن غالب، ويكنى أبا حفص، ولقب بالفاروق، لأنه أظهر الإسلام بمكة ففرق الله به بين الكفر والإيمان. ولد عمر رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، فكان رضي الله عنه أبيض، تعلوه حمرة، حسن الخدين والأنف والعينين، غليظ القدمين والكفين، وكان طويلاً جسيماً، وكان قوياً شديداً، لا واهناً ولا ضعيفاً، وكان يخضب بالحناء، وكان إذا مشى أسرع وإذا تكلم أسمع وإذا ضرب أوجع.

والده: الخطاب بن نفيل، فقد كان جد عمر نفيل بن عبد العزى ممن تتحاكم إليه قريش، وأما والدته فهي: حنتمة بنت هاشم ابنة عم أبي جهل بن هشام.

أمضى عمر في الجاهلية شطراً من حياته، ونشأ كأمثاله من أبناء قريش، وامتاز عليهم بأنه كان ممن تعلموا القراءة، وهؤلاء كانوا قليلين جداً، وقد حمل المسؤولية صغيراً، ونشأ نشأة غليظة شديدة، لم يعرف فيها ألوان الترف، ولا مظاهر الثروة، ودفعه أبوه الخطاب في غلظة وقسوة إلى المراعي يرعى إبله، وتركت هذه المعاملة القاسية من أبيه أثراً سيئاً في نفس عمر رضي الله عنه، فظل يذكرها طيلة حياته، ولا شك أن هذه حرفة الرعي التي لازمت عمر بن الخطاب في مكة قبل أن يدخل الإسلام قد أكسبته صفات جميلة كقوة التحمل، والجلد وشدة البأس، ولم يكن رعي الغنم هو شغل ابن الخطاب في جاهليته، بل حذق من أول شبابه ألواناً من رياضة البدن، فحذق المصارعة، وركوب الخيل والفروسية، وتذوق الشعر ورواه، وكان يهتم بتاريخ قومه وشؤونهم، وحرص على الحضور في أسواق العرب الكبرى، كعكاظ ومجنة وذبي المجاز، واستفاد منها في التجارة ومعرفة تاريخ العرب وما حدث بين القبائل من وقائع.

وكان يدافع عن كل ما ألفته قريش من عادات وعبادات ونظم، وكانت له طبيعة مخلصنة تجعله يتفانى في الدفاع عما يؤمن به، وبهذه الطبيعة التي جعلته يشدد في الدفاع عما يؤمن به، قاوم عمر الإسلام في أول الدعوة، وكان عمر من أشد أهل مكة بطشاً بهؤلاء المستضعفين. ولقد ظل يضرب جارية أسلمت، حتى أعيت يدها، ووقع السوط من يده، فتوقف إعياءً، ومر أبو بكر فرآه يعذب الجارية، فاشتراها منه وأعتقها.

لقد عاش عمر في الجاهلية وسبر أغوارها، وعرف حقيقتها، وتقاليدها وأعرافها، ودافع عنها بكل ما يملك من قوة، ولذلك لما دخل في الإسلام عرف جماله وحقيقته وتيقن الفرق الهائل بين الهدى والضلال والكفر والإيمان والحق والباطل، ولذلك قال قولته المشهورة: "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

كان أول شعاعة من نور الإيمان لامست قلبه، يوم رأى نساء قريش يتركن بلدهنّ ويرحلن إلى بلد بعيد عن بلدهنّ بسبب ما لقين منه ومن أمثاله، فرق قلبه، وعاتبه ضميره، فرثى لهنّ، وأسمعهنّ الكلمة الطيبة التي لم يكن يطمعن أن يسمعن منه مثلها.

قالت أم عبد الله بنت حنتمة: لما كنّا نرتحل مهاجرين إلى الحبشة، أقبل عمر حتى وقف عليّ، وكنا نلقى منه البلاء والأذى والغلظة علينا، فقال لي: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟ قلت نعم، والله لنخرجنّ في أرض الله، آذيتونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجاً. فقال عمر: صحبتكم الله. ورأيت منه رقة لم أرها قط. فلما جاء عامر بن ربيعة وكان قد ذهب في بعض حاجته وذكرت له ذلك فقال: كأنك قد طمعت في إسلام عمر؟ قلت له: نعم فقال: إنه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب.

لقد تأثر عمر من هذا الموقف وشعر أن صدره قد أصبح ضيقاً حرجاً، فأبى بلاء يعانيه أتباع هذا الدين الجديد، وهم على الرغم من ذلك صامدون! ما سر تلك القوة الخارقة؟ وشعر بالحزن وعصر قلبه الألم، وبعد هذه الحادثة بقليل أسلم عمر رضي الله عنه، وبسبب دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت السبب الأساسي في إسلامه، فقد دعا له بقوله: اللهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، قال: وكان أحبهما إليه عمر.

كانت قريش قد اجتمعت فتشاورت في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أي رجل يقتل محمداً؟ فقال عمر بن الخطاب: أنا لها، فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج في الهاجرة، في يوم شديد الحر، متوشحاً سيفه يريد رسول الله ورهطاً من أصحابه، فيهم أبو بكر وعلي وحزمة رضي الله عنهم في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، وقد ذكروا له أنهم اجتمعوا في دار الأرقم في أسفل الصفا. فلقية نعيم بن عبد الله النحام. فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله. قال له نعيم: لبئس الممشى مشيت يا عمر، ولقد والله غرتك نفسك من نفسك، ففرطت وأردت هلكة بني عديّ، أتري بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ فتحاورا حتى علت أصواتهما، فقال عمر: إني لأظنك قد صبوت ولو أعلم ذلك لبدأت بك، فلما رأى النحام أنه غير مُنته قال: فإنني أخبرك أن أهلك وأهل خنتك قد أسلموا وتركوك وما أنت عليه من ضلالتك، فلما سمع مقالته قال: وأيهم؟ قال: خنتك وابن عمك وأختك.

لما سمع عمر أن أخته وزوجها قد أسلما احتمله الغضب وذهب إليهم فلما قرع الباب قالوا: من هذا؟ قال: ابن الخطاب. وكانوا يقرؤون كتاباً في أيديهم، فلما سمعوا حس عمر قاموا مبادرين فاخبتوا ونسوا الصحيفة على حالها، فلما دخل ورأته أخته عرفت الشر في وجهه، فخبأت الصحيفة تحت فخذها قال: ما هذه الهيئمة والصوت الخفي التي سمعته عندكم؟ وكانوا يقرآن سورة طه، فقالوا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكم قد صبوتما، فقال له خنته: رأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على خنته سعيد وبطش بلحيته فتواتبا، وكان عمر قوياً شديداً، فضرب بسعيد الأرض ووطئه وطاً ثم جلس على صدره، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها، فقالت وهي غضبي: يا عدو الله، أتضربني على أن أوحد الله؟ قال: نعم. قالت: ما كنت فاعلاً فأفعل، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لقد أسلمنا على رغم

أنفك، فلما سمعها عمر ندم وقام عن صدر زوجها، فقعد، ثم قال: أعطوني هذه الصحيفة التي عندكم فأقرأها، فقالت أخته: لا أفعل. قال: ويحك قد وقع في قلبي ما قلت، فأعطينيها أنظر إليها، وأعطيك من الموائيق أن لا أخونك حتى تحرزبها حيث شئت. قالت: إنك رجس فلا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فخرج عمر ليغتسل ورجع إلى أخته فدفعت إليه الصحيفة وكان فيها طه وسور أخرى فرأى فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما مرّ بالرحمن الرحيم زعر، فألقى الصحيفة من يده، ثم رجع إلى نفسه فأخذها فإذا فيها: (طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى، تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى). فعظمت في صدره. فقال: من هذا فرت قريش؟ ثم قرأ. فلما بلغ إلى قوله تعالى: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) قال: ينبغي لمن يقول هذا أن لا يُعبد معه غيره، دلوني على محمد.

فلما سمع خبَاب رضي الله عنه ذلك خرج من البيت وكان مختفياً وقال أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون قد سبقت فيك دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين: "اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب". قال: دلوني على مكان رسول الله، فلما عرفوا منه الصدق قالوا: هو في أسفل الصفا. فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته وجلوا ولم يجترئ أحد منهم أن يفتح له، لما قد علموا من شدته على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى حمزة رضي الله عنه وجل القوم قال: مالكم؟ قالوا عمر بن الخطاب قال: عمر بن الخطاب؟ افتحوا له، فإن يرد الله به خيراً يُسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً، ففتحوا، وأخذ حمزة ورجل آخر بعضديه حتى أدخلاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أرسلوه، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بحجزته، وبجمع رداءه ثم جبذه جبدة شديدة، وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ والله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال له عمر: يا رسول الله جئتك أو من بالله وبرسوله وبما جئت به من عند الله، قال: فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف أهل البيت من أصحاب رسول الله أن عمر قد أسلم، فنفرك أصحاب رسول الله من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله، وينتصفون بهما من عدوهم.

دخل عمر في الإسلام بإخلاص متناه، وعمل على تأكيد الإسلام بكل ما أوتي من قوة، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق، إن متتم وإن حييتم. قال: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يبدو قد رأى أنه قد آن الأوان للإعلان، وأن الدعوة قد غدت قوية تستطيع أن تدفع عن نفسها، فأذن بالإعلان، وخرج صلى الله عليه وسلم في صفتين، عمر في أحدهما، وحمزة في الآخر حتى دخل المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وحمزة فأصابتهن كآبة لم تصبهن قط، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق.

لقد أجز الله الإسلام والمسلمين بإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره وامتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة. وتحدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشركي قريش، فقاتلهم حتى صلى عند الكعبة، وصلى معه المسلمون، وحرص عمر رضي الله عنه على أذية أعداء الدعوة بكل ما يملك، فقال: أي أهل مكة أنقل للحديث؟ قيل له جميل بن معمر الجمحي. يقول ولده عبدالله: فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كلما رأيت وسمعت. فأتاه فقال: يا جميل إنني قد أسلمت، فوالله ما ردّ عليه كلمة حتى قام يجرّ رداءه، وتبعه عمر واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش: وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ. وعمر يقول من خلفه: كذب ولكنني أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فثاروا إليه، فوثب عمر على عتبة بن ربيعة، فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل إصبعيه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، ففتحنى الناس عنه، فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه، حتى أحجم الناس عنه، واتبع المجالس التي كان يجلسها بالكفر فأظهر فيها الإيمان، وما زال يقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم، وفتز عمر وجلس، فقاموا على رأسه، فقال: افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل لتركتموها لنا، أو تركناها لكم. فبينما هم كذلك إذ جاء رجل عليه حلة حرير وقميص مؤشّي، قال: ما بالكم؟ قالوا: ابن الخطاب قد صبأ. قال: فمّة؟ امرؤ اختار ديناً لنفسه، أتظنون أن بني عديّ يُسلمون إليكم صاحبهم، فكأنما كانوا ثوباً انكشف عنه، فقلت له بالمدينة: يا أبت من الرجل ردّ عنك القوم يومئذ؟ قال: يا بني، ذاك العاص بن وائل السهمي.

أسلم عمر رضي الله عنه في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة، وهو ابن سبع وعشرين سنة، وكان إسلامه بعد إسلام حمزة رضي الله عنه بثلاثة أيام، وكان المسلمون يومئذ تسعة وثلاثين: فكمّلهم أربعين. ولما أراد عمر الهجرة إلى المدينة أبي إلا أن تكون علانية، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا متخفياً، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجرة، تقلد سيفه، وتكبّ قوسه، وانتضى في يده أسهماً، واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملا من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعة متمكناً، ثم أتى المقام، فصلى متمكناً، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، فقال لهم: شأهت الوجوه، لا يُرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تتكله أمه، ويوتم ولده، أو يرمل زوجه فليقتني وراء هذا الوادي. قال عليّ رضي الله عنه: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علّمهم وأرشدهم ومضى لوجهه.

وكان قدوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وكان معه من لحق به من أهله وقومه.

وبعد أن استقر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة لازمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث سكن العوالي، وهي ضاحية من ضواحي المدينة، وفي هذه الضاحية نظّم عمر نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية وهاديتها، والذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وقد كان لا يفوته علم من قرآن أو حديث أو أمر أو حدث أو توجيه، قال عمر: كنت

أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئت بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك. شهد بديراً، وأحداءً، والمشاهد كلها مع رسول الله ولم يغيب عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلي أبا بكر الصديق في الفضل فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء والمرسلين وأبي بكر، وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده في أفضليته رضي الله عنه وهو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينما أنا نائم شربت -يعني اللبن- حتى أنظر إنني الرّي يجري في ظفري أو في أظفاري، ثم ناولت عمر". فقالوا: فما أولته قال: "العلم". متفق عليه. والمراد بالعلم في الحديث سياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله، واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان. وقال صلى الله عليه وسلم: "بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره". قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال: "الدين". رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمّتي أحد فإنه عمر". متفق عليه. والمراد بالمحدث: الملهم، ومن يجري الصواب على لسانه من غير قصد، قال ابن القيم: ولا تظن أن تخصيص عمر رضي الله عنه بهذا تفضيل له على أبي بكر الصديق بل هذا من أقوى مناقب الصديق فإنه لكمال مشربه من حوض النبوة وتمام رضاعه من ثدي الرسالة استغنى بذلك عما تلقاه من تحديث أو غيره، فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة أتم من الذي يتلقاه عمر من التحديث، فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه من المعرفة وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله، بأنه الحكيم الخبير.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: قلت يا رسول الله، أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة قلت: يا رسول الله، من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب ثم عدّ رجالاً. رواه مسلم. وعقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، وكان لعمر دور بارز ومهم في حسم الموقف، فكان عمر رضي الله عنه يزود ويقوّي ويشجع الناس على بيعة أبي بكر حتى جمعهم الله عليه، وأنقذهم الله من الاختلاف والفرقة والفتنة، فهذا الموقف الذي وقفه عمر مع الناس من أجل جمعهم على إمامة أبي بكر، موقف عظيم من أعظم مواقف الحكمة التي ينبغي أن تسجل بماء الذهب. وفي خلافة الصديق رضي الله عنه كانت له مواقف عديدة منها:

- اعتراضه على إقطاع الصديق للأقرع بن حابس وعيينه بن حصن: جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالا: يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلاً ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحرثها أو نزرعها، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما تقولون فيما قالوا، إن كانت أرضاً سبخة لا ينتفع بها؟ قالوا: نرى أن تقطعها إياها، لعل الله ينفع بها بعد اليوم. فأقطعها إياها، وكتب لهما بذلك كتاباً، وأشهد عمر، وليس في القوم، فانطلقا إلى عمر يشهدانه، فوجده قائماً يهنأ بغيراً له، فقالا: إن أبا بكر أشهدك على ما في الكتاب فنقرأ عليك أو تقرأ؟ فقال: أنا على الحال

الذي تريان، فإن شئتما فاقراء وإن شئتما فانظرا حتى أفرغ، فأقرأ عليكم قالوا: بل نقرأ، فقرأ فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم نفل عليه فمجاه، فتمذرا، وقالوا مقالة سيئة، فقال: إن رسول الله كان يتألفكما، والإسلام يومئذ دليل، وإن الله قد أعز الإسلام، فاذهبا فأجهدا جهدكما، لا رعى الله عليكم إن رعيتما. فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران فقالوا: والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر: فقال: لا بل هو لو كان شاء. فجاء عمر وهو مغضب فوقف على أبي بكر فقال: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعها هذين، أرض هي لك خاصة أم للمسلمين عامة. قال: بل للمسلمين عامة. قال: فما حملك أن تخصص بها هذين دون جماعة المسلمين؟ قال: استشرت هؤلاء الذين حولي فأشاروا عليّ بذلك. قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك، فكل المسلمين أوسعهم مشورة ورضاً. فقال أبو بكر رضي الله عنه: قد كنت قلت لك إنك على هذا أقوى مني، ولكن غلبتني.

- موقف آخر: جمع القرآن الكريم: كان من ضمن شهداء المسلمين في حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن، وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر رضي الله عنه بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن حيث جُمع من الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال، وأسند الصديق هذا العمل العظيم إلى الصحابي زيد بن ثابت الأنصاري، قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: بعث إليّ أبو بكر رضي الله عنه لمقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرآن القرآن الكريم، وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقرآن في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنتبع القرآن فاجمعه. قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما كلفني به من جمع القرآن.

ولما اشتد المرض بأبي بكر جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميت لما بي وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدي، ورد عليكم أمركم فأمرؤا عليكم من أحببتهم فإنكم إن أمرتم في حياتي كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي. وتشاور الصحابة رضي الله عنهم، وكل يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، لذا رجعوا إليه، فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك قال: فأمهلوني حتى أنظر الله ولدينه ولعباده، فوقع اختيار الصديق على الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فاستشار عدداً من الصحابة منهم: عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وأسيد بن حضير وسعيد بن زيد وعدداً من الأنصار والمهاجرين، وكلهم كانوا برأي واحد في عمر إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته فقال لأبي بكر ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني بأب الله تخوفوني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: "اللهم استخلفت عليهم خير أهلك"، وبين لهم سبب غلظة عمر وشدته فقال: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما عليه. ثم كتب عهداً مكتوباً يُقرأ على الناس في المدينة وفي الأنصار عن طريق أمراء الأجناد. وأصابته فحولة الصديق في

الفاروق، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أفرس الناس ثلاثة صاحبة موسى التي قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، وصاحب يوسف حيث قال: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وأبو بكر حين استخلف عمر، فقد كان عمر هو سد الأمة المنيع الذي حال بينها وبين أمواج الفتن.

وباشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعماله بصفته خليفة للمسلمين فور وفاة أبي بكر رضي الله عنه. وروي أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر وهمّ أن يجلس مكان أبي بكر فقال: ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر. فنزل درجة، فحمد الله وأثنى عليه ثم أكمل خطبته.

وكان أول قرار اتخذه عمر في دولته رد سبايا أهل الردة إلى عشائريهم حيث قال: كرهت أن يكون السبي سنة في العرب، وهذه الخطوة الجريئة ساهمت في شعور العرب جميعاً أنهم أمام شريعة الله سواء، وأنه لا فضل لقبيلة على قبيلة إلا بحسن بلائها وما تقدمه من خدمات للإسلام والمسلمين، وتلت تلك الخطوة خطوة أخرى هي السماح لمن ظهرت توبتهم من أهل الردة بالاشتراك في الحروب ضد أعداء الإسلام، وقد أثبتوا شجاعة في الحرب وصبراً عند اللقاء، ووفاءً للدولة لا يعدله وفاء.

اعتمد عمر رضي الله عنه مبدأ الشورى في دولته، فكان رضي الله عنه لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ولا يستبد عليهم في شأن من الشؤون العامة، فإذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ويناقش الرأي معهم فيه ويستشيرهم. وكان يحث قادة حربه على الشورى. وكان يكتب إلى قاداته بالعراق يأمرهم أن يشاوروا في أمورهم العسكرية عمرو بن معديكرب وطلحة الأسدي. وكان مسلك الفاروق في الشورى جميلاً: فإنه كان يستشير العامة أول أمره فيسمع منهم، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله وأصحاب الرأي منهم ثم يفضي إليهم بالأمر ويسألهم أن يخلصوا فيه إلى رأي محمود، فما استقر عليه رأيهم أمضاه.

وقد توسع نطاق الشورى في خلافة عمر رضي الله عنه لكثرة المستجدات والأحداث وامتداد رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة، فولدت مشكلات جديدة احتاجت إلى الاجتهاد الواسع مثل معاملة الأرض المفتوحة، وتنظيم العطاء وفق قواعد جديدة لتدفع أموال الفتوح إلى الدولة، فكان عمر يجمع للشورى أكبر عدد من الصحابة الكبار، وكان لأشياخ بدر لهم مكانتهم الخاصة في الشورى لفضلهم وعلمهم وسابقتهم إلا أن عمر رضي الله عنه أخذ يشوبهم بشباب، فأخذ يختار من شباب الأمة من علم منهم علماً وورعاً وتقياً فكان عبد الله بن عباس من أولهم.

لقد كان الفاروق قدوة في عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره دعوة عملية للإسلام به تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول ﷺ، فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، وقد نجح في ذلك على صعيد الواقع والتطبيق نجاحاً منقطع النظير لا تكاد تصدقه العقول حتى اقترن اسمه بالعدل.

حكم بالحق لرجل يهودي على مسلم، ولم يحمل كافر اليهودي على ظلمه والحيث عليه. وقصته مع ابن عمرو بن العاص مشهورة، "مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟". وعندما أصاب الناس سنة جذب بالمدينة وما حولها، فكانت تسفي إذا ريحت تراباً كالرماد، فسمي ذلك العام عام الرمادة، فحلف عمر ألا يذوق

سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناس من أول الحيا، وقال: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسهم. وعندما أصاب الناس سنة غلاء، فغلا السمن، فكان عمر يأكل الزيت، فتقرقر بطنه، فيقول: "قرقر ما شئت، فو الله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس". ولم يأكل من الطعام ما لا يتيسر لجميع المسلمين، فكان زمن الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد تُرد بالزيت، إلى أن نحرروا يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتي به، فإذا قديد من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، من الجزور التي نحرناها اليوم. فقال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، وأطعمت الناس كرادسها، ارفع هذه الجفنة، هات غير هذا الطعام، فأني بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز.

وعندما قدم عتبة بن فرقد أدريجان أتي بالخبيص، فلما أكله وجد شيئاً حلواً طيباً، فقال: والله لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا، فجعل له سفطين عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين، فسرح بهما إلى عمر. فلما قدما عليه فتحهما، فقال: أي شيء هذا؟ قالوا: خبيص، فذاقه، فإذا هو شيء حلو. فقال: أكل المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قال: لا. قال: أمّا لا، فاردهما. ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك. أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك.

ويروي ابن الجوزي أن عمرو بن العاص، أقام حد الخمر على عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، يوم كان عامله على مصر. ومن المؤلف أن يقام الحد في الساحة العامة للمدينة، لتتحقق من ذلك العبرة للجمهور، غير أن عمرو بن العاص أقام الحد على ابن الخليفة في البيت، فلما بلغ الخبز عمر، كتب إلى عمرو ابن العاص: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاص: عجبت لك يا ابن العاص ولجرتك عليّ، وخلاف عهدي. أما إنني قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هو خير منك، واخترتك لجدالك عني، وإنفاذ عهدي، فأراك تلوث بما قد تلوثت، فما أراني إلا عازلك فمسيء عزلك، تضرب عبد الرحمن في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني؟ إنما عبد الرحمن رجل من رعيك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين. ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع. وقد تم إحضاره إلى المدينة وضربه الحد جهراً.

ومن الأمثلة التاريخية ما صنعه عمر مع جبلة بن الأيهم: كان جبلة آخر أمراء بني غسان من قبل هرقل، وكان الغساسنة يعيشون في الشام تحت إمرة دولة الروم، وكان الروم يحرضونهم دائماً على غزو الجزيرة العربية، وخاصة بعد نزول الإسلام. ولما انتشرت الفتوحات الإسلامية، وتوالت انتصارات المسلمين على الروم، أخذت القبائل العربية في الشام تعلن إسلامها، فبدا للأمير الغساني أن يدخل الإسلام هو أيضاً، فأسلم وأسلم ذووه معه، وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة، ففرح عمر بإسلامه وقدامه، ف جاء إلى المدينة وأقام بها زمناً والفاروق يرعاه ويرحب به، ثم بدا له أن يخرج إلى الحج، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطئ إزاره رجل من بني فزارة فحلّه، وغضب الأمير الغساني لذلك وهو حديث عهد بالإسلام، فطم لطة قاسية هشمته أنفه، وأسرع الفزاري إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ما حل به، وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعو إليه، ثم سأله فأقر بما حدث فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأن تظلم أخاك هذا فتهشم أنفه؟ فأجاب

بأنه قد ترفق كثيراً بهذا البدوي، وأنه لولا حرمة البيت الحرام لأخذت الذي فيه عيناه. فقال له عمر : لقد أقررت، فأما أن تُرضي الرجل وإما أن اقتص له منك. وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكل هذا الذي يجري وقال: وكيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك؟ فقال عمر: إن الإسلام قد سوى بينكما. فقال الأمير الغساني: لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية. فقال الفاروق: دع عنك هذا فإنك إن لم تُرضِ الرجل اقتصت له منك. فقال جبلة: إذا أتتصر. فقال عمر: إن تتصرت ضربت عنقك، لأنك أسلمت فإن ارتددت قتلتك. وهنا أدرك جبلة أن الجدل لا فائدة منه، وأن المراوغة مع الفاروق لن تجدي، فطلب من الفاروق أن يمهل ليفكر في الأمر، فأذن له عمر بالانصراف، وفكر جبلة بن الأيهم ووصل إلى قرار، وكان غير موفق في قراره، فقد آثر أن يغادر مكة هو وقومه في جنح الظلام وفر إلى القسطنطينية، فوصل إليها متنصراً، وندم بعد ذلك على هذا القرار أشد الندم، وصاغ ذلك في شعر جميل ما زال التاريخ يردده ويروييه..

والحمد لله أولاً وآخراً ...